دور العصبية في الانحراف العقدي
بين الأمس واليوم

إعداد

د/ علي الحاج علي موسى

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

جامعة طيبة - المدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

دور العصبية في الانحراف العقدي بين الأمس واليوم

علي الحاج علي موسى

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: alielhajali1962@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث للإسهام في تجنيب أمة الإسلام شر التمزق والتآكل الذي تسببه نعرة العصبية، هذه الآفة التي أبعدت المسلمين قديماً وحديثاً عن معين النبوة الذي بين أنها نتنة، وكثيراً ما حذر من مخاطرها. ولذا كانت النظرة التأصيلية لهذه العصبية بمنظار العقيدة التي أبانت موقفها المتمثل في رفضها، والبراءة من دعاته بيد أنها كذلك دعت للتخلص من هوى النفوس لكي يخلص التوحيد الله وحده. استناداً على المنهجين: الوصفي والاستقرائي فقد أجلى البحث صورة العصبية الممقوتة، مستعيناً بالمنهج التاريخي لتتبع آثارها السلبية على العقيدة، منذ صدر الإسلام وإلى عصرنا الحاضر. وقد تصدى البحث لتصحيح مفهوم الوطنية والقومية ومغايرته للعصبية. وقد توصل البحث إلى نتائج، من أهمها: بيان زيف دعاوى الوطنية المخالفة للعقيدة، وأن الدعوة لرابطة العروبة يجب ألا تكون خصماً على الإسلام، وبيان الآثار السالبة للعصبية التي أسهمت في هدم كيان الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً. وقد تمثله أهم توصيات البحث في ضرورة بث المعرفة بالمفهوم الصحيح للوطنية، واستشعار عظم جناية دعاة العصبية على الدين والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: دور العصبية، صد العصبية، أثر العصبية، التجرد للحق، الانحراف العقدي، الأمس، اليوم.

The role of nervousness in the nodal deviation between yesterday and today

Ali Haj Ali Musa
Associate Professor of Doctrine and Contemporary Doctrines, Taibah University – Medina, Saudi Arabia.
E-mail ; alielhajali1962@gmail.com

Abstract:
This thesis aims at contributing in maintaining the essence of Islam and getting Muslims away from the evil of difference and discord by warning of fanaticism, the arm of devils of Mankind and jinn to destroy Islm and annihilate its people. This thesis is mainly focused on the fundamentalist point of view as per the perspective of Islamic dogma which clarified its attitude represented in refusing it and disavowing its allegations. Nevertheless, it called for getting rid of the whims of souls so that Muslims worship Allah solemnly and sincerely.Based on the descriptive and inductive methodology, in addition to history, this thesis distinguishes between the concept of nationalism and abhorred fanaticism. It also highlights the true Arabism and bond of brotherhood. It states the role of fanaticism in distracting humanity away from the path of Allah, focusing on some symbols. The thesis as well contained the passive influence of fanaticism and stated some examples of present time. The thesis concluding some results, mainly؛ Stating the false calls for fanaticism which resist faith is one of the most significant bonds of brotherhood. As well, Arabism is not an enemy to Islm, and fanaticism has passive influences that took part in demolishing the entity of the nation in the past and present. The most important recommendations are mainly represented in the necessity of instilling knowledge by the sound concept of nationalism and highlighting the allegations of fanatics against Islam and pondering over the influences of this fanaticism on Islamic society by the perspective of Islamic faith and by the solemn sincerity of monotheists to Allah, the lord of all Worlds.

Keywords: The role of fanaticism, Repelling fanaticism, The effect of fanaticism, Abstract:ion from the truth, Dogmatic deviation, Yesterday, Today.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقــدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى نبينا محمد الرحمة المهداة والنعمة المسداة أطيب الصلوات وأزكى التسليمات،

ثم أما بعد:

لما كان واقع أمتنا الإسلامية المعاصر يحكي عن تمزق واختلاف، وتنازع يفضي إلى حياة فاشلة، وينذر بذهاب ريحها، تتكالب عليها الأمم الكافرة، فقد أضحى واجباً على علمائها ومثقفيها إدراكها بإبعاد مسببات ذلك، والتي من أبرزها الانحراف عن العقيدة، والذي هو أثر من آثار العصبية، والعصبية تمثل داء قد استفحل في جسد الأمة في عصرنا الحاضر، لم تجد معه محاولات علاجه – التسكينية – مما جعل الحاجة ملحة لتشخيصه بأدق منظار، حتى تأتى وصفة دوائه الشافي بإذن الله.

والباحث في ماضي المسلمين عليه أن يقتدي بطرق العلاج وكذلك الوقاية من داء العصبية، بدءاً بتعاليم الوحي – بنوعيه –القرآن والسنة، وهدي الصحابة والتابعين، وجهود المصلحين، التي أثمرت التعافي التام، فانصهرت كل الجنسيات والقوميات في بوتقة الإسلام، وذابت كل الفوارق، فاستثمرت الأمة الإسلامية كل طاقات أبنائها فنالت بذلك موقع الريادة على بقية الأمم.

ولذلك فإن عودة الأمة الإسلامية إلى وحدتها الحقيقية أمر ضروري في هذا الوقت العصيب. فما كان لهذه الأمة أن تذوق طعم الريادة إلا حينما كانت مشغولة بتوحيد صفوفها ورصّ وحدتها على أسس راسخة من الإيمان بالله واتباع سنة نبيه. فقد أتى الإسلام ليحرر الإنسان من أغلال الجهل والتعصب والتفرقة، ليجمع بين القلوب، ويضع الناس جميعًا على قدم المساواة أمام ربهم، فالمعيار الوحيد للفضل في الإسلام هو التقوى والعمل

الصالح، لا العصبية ولا النسب ولا الجغرافيا.

وقد كانت الأمة الإسلامية في العصور الزاهرة نموذجاً حياً لتلاحم الشعوب واختلاط الأجناس، فاحتضنت العرب والفرس والروم والأتراك وغيرهم تحت مظلة واحدة، هي مظلة الإسلام، وكان هذا التلاحم هو القوة التي دعت إلى نهضة فكرية وعلمية واقتصادية وثقافية جعلت من الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

ولكن للأسف، في زمننا الحالي، أصبح من المحزن أن نرى عصبيات قبلية أو عرقية أو مذهبية تفرق بين أبناء الأمة الإسلامية، في وقت كنا فيه أحوج ما نكون إلى الوحدة والتآزر. إن هذه العصبيات هي التي تغذي الصراعات والنزاعات داخل الأمة، وتجعلنا في مهب الرياح، مهيئين للاستهداف من أعدائنا الذين يتربصون بنا ويسعون جاهدين لتقسيمنا وتفريقنا.

ومن أجل إعادة الأمة إلى مكانتها وصدارتها، يجب على كل فرد في المجتمع الإسلامي أن يدرك أن مصدر قوتنا يكمن في وحدتنا، وفي التعاون على البر والتقوى. ومن هذا المنطلق، يجب على العلماء والمفكرين والمصلحين أن يتبنى مشروعاً فكرياً وثقافياً يعيد للأمة وعيها ويعزز من تلاحمها، ويعيد إحياء قيم الأخوة الإسلامية، بعيدًا عن العصبيات والتفرقات.

إن التحديات التي نواجهها اليوم تتطلب منا أن نكون يدًا واحدة، كما كان سلفنا الصالح، وأن نتمسك بوحدتنا في مواجهة كل محاولات التفريق التي يروج لها الأعداء. وعليه، فلا بد من أن نعيد النظر في مواقفنا وأعمالنا، وأن نرسم الطريق نحو المستقبل على أساس من التكاتف والتعاون، وأن نعلم أن أعداء الأمة ينجحون فقط حينما نبعد عن هذه القيم وتلك المبادئ.

وختامًا، إن العودة إلى مفاهيم الوحدة والالتفاف حول العقيدة الصحيحة والعمل الجماعي في خدمة الأهداف العليا للأمة الإسلامية هو السبيل الوحيد لاستعادة قوتنا ورفع راية الإسلام عالية بين الأمم. وهذا لن يتحقق إلا بتضافر الجهود على كل المستويات: الفكرية، والعلمية، والاجتماعية، والسياسية، وكل حسب قدرته وطاقته، ليكون ذلك سببًا في النهضة الكبرى للأمة بإذن الله تعالى. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

هدف البحث :

١- دعوة المسلمين إلى وحدتهم، وتحذيرهم من الفرقة والاختلاف.

٢- بيان أن سبب واقع المسلمين المعاصر هو انحرافهم عن العقيدة السليمة وتنكب طريق السلف.

٣- حث المسلمين على التجرد للحق ونبذ العصبية.

سبب الاختيار:

بالتتبع التاريخي والاستقراء، مع فقه الواقع المعيش لأمة الإسلام، نجد أن العصبية قد جنت على الإسلام، ذلك الدين الحنيف فشوهت صورته كدين توحيد ووحدة، وحولت الأمة الواحدة إلى فرقٍ متناحرة، ذاقت الهوان، وتدحرجت إلى الذيلية مقارنة ببقية الأمم، مع أن الأصل أن تكون أمة الإسلام في طليعة الأمم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في محاولته لعلاج أخطر داءٍ استشرى في جسد الأمة الإسلامية، قديماً وحديثاً، فقطع أوصالها، وهو نُعرة العصبية.

والدواء لهذا الداء يكمن في بيان ما ورد بشأنه في بيّنات التنزيل الحكيم، وسنة الرسول ﷺ، وهدي الصحابة والتابعين.

مشكلة البحث:

إن الجهود المبذولة من المصلحين لإدراك أمة الإسلام من شر العصبية جلها مبعثرة وجزئية، توصف بالمحدودية في كثير من جوانبها، ولكي يتغير واقع الأمة نحو استعادة ريادتها، تتبادر الأسئلة التالية:

- كيف تكون تربية المؤمنين على التجرد من الهوى؟
- ما مدى استيعاب المسلمين لاستهدافهم من قبل الأمم الكافرة؟
- ما هو دور العلماء في جعل أفراد الأمة يستشعرون نعمة الأخوة الإيمانية؟
- كيفية استقامة المسلم المعاصر على العقيدة السليمة التي نال بها السلف الصالح موقع المقدمة في ركب البشرية.
- أهمية فتح باب الأمل، وعدم الركون مثبطات الهمة.

منهج البحث:

انتهج الباحث المنهجين: الوصفي والاستقرائي، وذلك لصياغة الفوائد من ذكر المفاهيم والمواقف، وما يتطلبه البحث من شواهد وأدلة وتعريف لبعض المصطلحات، هذا إضافة للمنهج التاريخي لتتبع بعض آثار العصبية قديماً وحديثاً.

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من أربعة مباحث، يحتوي كلٌّ منها على أربعة مطالب، وذلك بين مقدمةٍ وخاتمةٍ، وفهرسٍ بأهم المصادر.

وذلك على النحو التالي:

مقدمة: وفيها بيان واقع المسلمين بين الماضي والحاضر، وسبب الاختيار، وهدف البحث، وأهميته ومشكلته.

تمهيد: وفيه بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصبية وللعقيدة ومعنى الانحراف، والمقصود بالأمس واليوم.

المبحث الأول: العصبية بمنظار العقيدة الإسلامية:

ويحتوي على مطالب:

المطلب الأول: ذم الإسلام للعصبية

المطلب الثاني: التفريق بين العصبية والأخوة الإسلامية

المطلب الثالث: ما بين الوطنية والعصبية

المطلب الرابع: ما بين القومية والعصبية

المبحث الثاني: آثار العصبية في الصد عن الإيمان في صدر الإسلام: ويحتوي على مطالب:

المطلب الأول: أثر العصبية في صد زعماء قريش عن الإيمان

المطلب الثاني: صد العصبية ليهود المدينة عن دخول الإسلام

المطلب الثالث: أثر العصبية في منع إسلام قيصر الروم

المطلب الرابع: أثر العصبية في مناصرة أدعياء النبوة

المبحث الثالث: نماذج لآثار العصبية في العصر الحاضر: ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: نموذج أمة الإسلام في أمريكا

المطالب الثاني: نموذج الدولة العثمانية

المطلب الثالث: نموذج القومية العربية

المطلب الرابع: نموذج الاستشراق

المبحث الرابع: في علاج العصبية: ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التجرد للحق

المطلب الثاني: التوعية بعواقب العصبية

المطلب الثالث: كشف مكائد الأعداء

المطلب الرابع: إحياء منهج السلف الصالح

الخاتمة وتحتوي على نتائج وتوصيات

تمهيـــد

لقد تضافرت مكائد أعداء الإسلام هادفة تدميره وإبادة أهله، وبعثرة طاقات المسلمين، وذلك عبر تحريف عقيدة الأمة بعدة أساليب، من أشدها مكراً إثارة ثمرات العصبية، والتي يجدر بنا أن نعري صورتها وصورة مثيريها.

فأولاً: ما هو مفهوم العصبية؟

أ- المعنى اللغوي:

مصطلح العصبية مشتق من العَصْب، وهو: الطيُّ والشدُّ.

فعند قولنا: عَصَبَ الشيءَ يَعْصِبُهُ عَصْباً: بمعنى: طَوَاه وَلَوَاه وشدَّه [١]وتأتي كلمة عصب كذلك بمعنى لزم، كما قال ابن منظور: " عصب الرجل بيته، أي: أقام في بيته لا يبرحه، لازماً له " فالعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم على من يناويهم، ظالمين كانوا أم مظلومين. [٢]

وعصيب بمعنى شديد، فقد حكى القرآن عن لوط عليه السلام:

﴿قال هذا يوم عصيب﴾ [٣] أي: هذا يوم شديد.

ويقال: عصبته السنون، أي: أكلت ماله.

وعصبه الجوع، أي: اشتد عليه.

وتعصّب فلان، أي: شدّ العصابة، أو كان ذا عصبية.

---

(١) انظر: مادة (ع ص ب) في كل من : الصحاح للجوهري ١/١٨٢-١٨٣، وتهذيب اللغة للأزهري ٤٥-٥١، والقاموس المحيط للفيروز آبادي / ١٤٨ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي / ٩٤٦

(٢) ابن منظور / لسان العرب / ٤ / ٢٤٨

(٣) سورة هود (٧٧)

وتعصّب القوم عليهم، أي: تجمعوا.

وتعصّب له، أو منه، أي: نصره، وشدّ أزره.

وأصل المادة يدور حول الشدّ والشدة، يقال: عصب رأسه بالعمامة، أي: شدها.

والعُصْبة والعِصابة: الجماعة، ومنه قوله تعالى حكايةً عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ونحن عُصّبة﴾ [١].

ونفس هذا المعنى ورد كذلك في الحديث النبوي: ((اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، لا تُعْبد في الأرض))[٢].

وعَصَبَةُ الرجل: قرابته لأبيه، وبنوه [٣].

ومن معاني العصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة [٤].

فالعصبي هو الذي يغضب لعصبته ، ويحامى عنهم ، وقد ورد في الحديث النبوي : ((العصبي من يعين قومه على الظلم))[٥] .

وتستعمل كلمة " تَعَصَبَ "، في مقابل كلمة " تسامح ".

ومن الكلمات ذات الصلة بمعنى العصبية:

الجهوية: نسبة إلى الجاه، وهو القدر والمنزلة[٦]

---

(١) يوسف ٨

(٢) مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر رضى الله عنه.

(٣) ابن منظور / لسان العرب / ٤/٢٤٨.

(٤) المصدر السابق/ نفس الصفحة.

(٥) أبو داود (٥١١٩) ، الطبراني في "الكبير" (٢٣٦) .

(٦) الفيروز آبادي / القاموس المحيط/ كلمة الجاه / ص ١٦٠٧.

والنُّعرَةُ: ومعناها الصياح، ومناداة القوم بشعارهم من أجل الاستغاثة بهم، وحثهم على الحرب ، فهي مظهر من مظاهر العصبية ، لأن القوم يجيبون من ناداهم دون النظر إلى كونه ظالماً أو مظلوماً[١].

لقد تعددت تعريفات العصبية، وحسبنا أن نقف عند بعضها مراعاة للمقام الذي يتطلب عدم الإسهاب، فمنها:

١- ما أورده الأزهري: ((أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته ، والتألب معهم ، على من يناوئهم، ظالمين كانوا ،أو مظلومين))[٢]

٢-ما ذكره ابن خلدون: ((النُّعرَةُ على ذوى القربى، وأهل الأرحام، أن ينالهم ضَيْم، أو تصيبهم هلكة .... ، ومن هذا الباب الولاء والحلف ، إذ نُعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه)) [٣]

٣-وعرّفها بعضهم بـ ((أنها رابطة اجتماعية نفسية شعورية ولا شعورية معاً ، تربط أفراد جماعة ما ، قائمة على القرابة، ربطاً مستمراً ، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة))[٤]

٤-وعرفها آخرون بـ ((أنها التلاحم بالعصب، والالتصاق بالدم ،والتكاثر بالنسل ، ووفرة العدد، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول))[٥]

---

(١) انظر: د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي/ العصبية القبلية من المنظور الإسلامي / ص٣٩ / ط اولى / ٢٠٠٦ .

(٢) الأزهري / تهذيب اللغة / ٢٤٥٢ / الدار المصرية / بدون تاريخ.

(٣) مقدمة ابن خلدون / ص ٢٣٥.

(٤) محمد عابد الجابري / فكر ابن خلدون ، العصبية والدولة / ص ١٦٨.

(٥) إبراهيم سلامة / خلق ودين (دراسات اجتماعية أخلاقية) / ص ٨١.

وغالباً ما تستعمل كلمة تعصب في مقابل كلمة تسامح وتدور تعريفات العصبية حول معنيين رئيسيين هما:

١- الاجتماع

٢- النصرة

أنواع العصبيات:

(١)- عصبية الجنس

(٢)- عصبية اللون

(٣)- عصبية اللغة

(٤)- عصبية المذهب

(٥)- عصبية الوطن

(٦)- عصبية القوم

(٧)- عصبية النسب

والتعصب المذموم أن تكون ذا عصبيةٍ عمياء، لعقيدتك أو لمذهبك، أو لفكرتك ورأيك، أو لقومك وطائفتك، بحيث لا تقبل أي حوار مع من يخالفك: في الأصول أو الفروع، وأن تغلق الأبواب والنوافذ في وجه كل من يقترب منك، بل إعمال القوة في وجوههم .

إذن ما يمقته الإسلام من تعصب هو جمود الشخص على فهمه، بحيث يحجر أو يلغي معه آراء من يخالفه، وهذا مذمومٌ شرعا فقد سأل واثلة بن الأسقع رسول الله ﷺ عن العصبية فقال: ((أن تعينَ قومك على الظلم)) [١]

(١) أبو داود (٥١١٩)، والطبراني في الكبير (٢٣٦).

ثانيا: المقصود بالعقيدة:

أ- المعنى اللغوي:

مصطلح العقيدة في اللغة يدور حول اللغة حول عدة معاني، من أبرزها:

١- الربط والشد بقوة.

٢- العهد

٣- الملازمة

٤- التأكيد

ب- المعنى الاصطلاحي:

لقد تعددت تعريفات العقيدة الاصطلاحية، والتي من أشهرها

((ما عقد الإنسان قلبه عليه من أممور الدين، ودان الله به)).

ثالثا: معنى الانحراف:

مصطلح الانحراف يرادفه التحريف، ومعناه:

((التغيير وإمالة الشيء عن وجهه))

وينقسم إلى قسمين، هما

١- الانحراف اللفظي:

وذلك بالزيادة في الكلمة، أو النقص منها، أو تغيير حركة في الكلمة.

٢- الانحراف المعنوي:

وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ.

المبحث الأول
العصبية بمنظار العقيدة الإسلامية

المطلب الأول
ذم الإسلام للعصبية

لقد ذمَّ الإسلام العصبية، ووصفها بأنها نتنة، بل حاربها، كما أعلن التبرؤ ممن يثير نعرتها، فقد ورد في حديث جبير بن مطعم المرفوع: ((ليس منا من دعا الى عصبيَّة، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)). [1]

فمن هذا الحديث يظهر جلياً تبرؤ الإسلام من أي دعوةٍ إلى رابعة نسب، أو آصرة وطنية، أو فكرةٍ قوميةٍ، من باب التعصب لها، وجعلها أصلاً في الموالاة، أو في المعاداة، أو في التناصر، أو في التخاذل.

وأخرج أبو داود والترمذي حديث الرسول ﷺ: ((إنَّ الله أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقى، وفاجرٌ شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجالٌ فخرهم بأقوام، إنما هم فحمٌ من جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي ترفع بأنفها النتن))[2].

وفي بيان أن دعاة العصبية على غير هدى الإسلام، جاء الحديث:

((من ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جُثا (جماعات) جهنم فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: ((لا وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله))[3].

---

(١) أبو داود (رقم: ٥١٢١).

(٢) أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦) .

(٣) أحمد (١٧٣٠٢)، والترمذي (٢٨٦٣).

وفـي التطبيـق العملـي، كـان رسـولنا ﷺ يسـعى فـي أن يتفاعـل كـل المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم في بناء دولة الإسلام وحضارته وعزته، دون استعلاء أو تطاول أو تفاضل أحد على غيره، وكمثال لذلك نذكر رفضه لأبي ذر عندما عيِّر بلالاً بسواده قائلاً له: ((يا ابن السوداء)) فقال ﷺ ((أعيِّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية)) [١] ولكي يكفِّر أبو ذر عن خطيئته هذه وضع خده على الأرض، وسأل بلالاً أن يطأه بقدمه.

والشاهد هنا سرعة معالجة ما يكرر صفو المجتمع.

ومن المسلّمات أن الإسلام قد حارب العصبية بالقول وبالعمل، وجعل معيار التفاضل بين شرائع المجتمع هو التقوى فقط، كما في الآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [٢].

وفي السنة المطهرة: ((الناس سواسية كأسنان المشط)) [٣]. وكنموذجٍ لذوبان العصبية، وخلو مجتمع للمسلمين في صدر الإسلام منها ننظر في سيرة بلال بن رباح رضي الله عنه الذي كان رقيقاً فاستراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه[٤]، فأصبح من علية وسراة القوم فكان المؤذن للصلوات، وبشّره الرسول ﷺ بأنه من أهل الجنة، وقد قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدَنا))[٥].

---

(١) البخاري (٢٠) ومسلم (١٦٦١٩).

(٢) الحجرات (١٣)

(٣) رواه الخطابي في ((غريب الحديث)) /ص ٥٦٠ – ٥١٦/ عن سهل بن سعد الساعدي.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام /٢٤٩/٢.

(٥) البخاري (٣٧٥٤)

ونموذج آخر، سيرة سلمان، الذي أصله من فارس، وقد كان مملوكاً ليهودي فكاتبه وأُعتق[١]، وقد نال شرفا عظيما في مجتمع المسلمين، بل نُحت اسمه في ذاكرة المسلمين كلما ذكرت غزوة الخندق، هذا دون الخوض في غلو الرافضة فيه، وقد شرَّفه الرسول ﷺ بقوله: ((سلمان منا أهل البيت))[٢].

ولتجنيب الأمة من شر العصبية في الصدر الأول للإسلام نذكر هذه الحادثة لكي نفوت الفرصة على الأعداء المتربصين بمجتمعنا المسلم، وهي أنه: ((مرَّ شاس بن قيس _ يهودي عظيم الكفر شديد الحقد والحسد على المسلمين _ على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ: من الأوس والخزرج، في مجلسٍ قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم، وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ من بني قَيْلَة بهذه البلاد، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتىً شاباً من يهود كان معهم، فقال: اعْمِد إليهم، فاجلس معهم، ثم ذكر يوم بعاث[٣]، وما كان قبله وأنشرهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، –وعندما قام هذا الفتى بهذه المهمة – تكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرَّكبَ، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، [٤] السلاَمَ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام /١٧٩/٢

(٢) الطبراني في الكبير (٦٠٤٠)، والحاكم (٦٦٠٠) من حديث عمرو بن عوف المزني.

(٣) موضوع بالمدينة، كان به آخر معركة بين الأوس والخزرج، قبل هجرة الرسول ﷺ.

(٤) الحرة.

فخرجوا إليها، وعندما بلغ ذلك رسول الله ﷺ خرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين فقال: ((يا معشر لمسلمين اللهَ اللهَ، أَبِدَعْوَى الجاهلية وأنا بيد أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف بين قلوبكم))؟؟

فعرف القوم أنها نرغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس بعضهم بعضا ،ثم انصرفوا مع رسول ﷺ سامعين مطيعين ا.هـ[١].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام /١٣٦/٢- ١٣٧.

المطلب الثاني

التفريق بين العصبية والأخوة الإسلامية

لقد سبق أن قررنا في المطالب السابق أن العصبية قد ذمها الإسلام، وأنها تتنافى مع الحق الذي لا يميل مع قربى ولا يحيف مع شنآن.

بل من صور هذه العصبية الممقوتة اعمال قاعدة "الولاء والبراء" بصورة خاطئة تقوم على أساس الانتماء الضيق لمذهب، أو عرق، أو بلد أو نحو ذلك، فهذا يمثل آفة من الآفات التي عمّت وطمّت، لا سيما في عصرنا الحاضر.

وقد حسم الإسلام هذا الأمر، فإذا رجعنا إلى منبع القدوة نجد حديث الرسول ﷺ: " **لا فضل لعربي على عجمي ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى**"[١].

وقد عاش المجتمع المسلم على هذا الفهم، بل أصبح من المسلّمات نبذ هذه العصبية، كما عبر عن ذلك الشاعر : نهار بن توسعة[٢] ، حيث قال :

دعي القوم ينصر مدعيه ليلحقه بذي الحسب الصميم
أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

أما الأخوة فرابطتها فوق رابطة الدم، وآصرة العشيرة، وقد بيّن القرآن الكريم ذلك، كما في الآية: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد، برقم: (٢٣٨٨٥).

(٢) شاعر، وفارس، من بكر بن وائل ، عاش في العصر الأموي، في عهد هشام بن عبد الملك، وهو من سكان خراسان ، له ترجمة في "تاريخ دمشق" ، لابن عساكر ٦٢/ ٣١٤.

(٣) الحجرات، ١٠.

وفى الصحيحين ورد الحديث: "**ومثل المؤمنون في توادهم وتراحم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**" .

والعقيدة الإسلامية جعلت ميزان التفاضل الحقيقي بين الناس هو التقوى ، فقد روى الإمام أحمد والبيهقي أن الرسول ﷺ قال في حجة الوداع: "**أيها الناس : إنّ ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لآدم، و آدم من تراب ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى... ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**".

ومما يؤكد أن رابطة الأخوة الدينية فوق كل الروابط جميعاً ، أن القرآن الكريم تبرأ من أبى لهب عم الرسول ﷺ، واعتبر سلمان الفارسي من أهل بيت النبوة الأتقياء الأصفياء "**سلمان منا آل البيت**".

ولله در القائل:عليك بتقوى الله في كل حالة

ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس

وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

وعند التمعن في مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والانصار عندما وطئت قدماه الشريفتان المدينة المنورة، نجد أن بعض الضعفاء والموالي آخاهم الكبار الذين عُرفوا بأصالة النسب، وعلو المنزل، وكمثال لذلك نذكر:

- أبو بكر الصديق مع خارجة بن زيد
- حذيفة بن اليمان مع عمار بن ياسر
- أبو الدرداء مع سلمان الفارسي
- خالد بن رويحة الخثعمي مع بلال بن رباح

- حمزة بن عبد المطالب مع زيد بن حارثة

ولمزيد من تأكيد أمر الأخوة الدينية نشير إلى مسألة تزويج الموالي، الذي كانت تأنفه كثير من أعراف وعادات الأمم، إلا أن العقيدة الإسلامية قد ركّزت على أساس الدين دون الحسب أو النسب أو المال، إذ كان أهل الجاهلية يزوجون للحسب، واليهود كانوا يزوجون لمال، وكان النصارى يزوجون للجمال، أما في الإسلام: " فاظفر بذات الدين تربت يداك ".

وكنماذج لتطبيق هذا المبدأ في المجتمع المسلم نذكر الآتي:

١- زيد بن حارثة، تزوج زينب بنت جحش، ابنة عمة الرسول ﷺ – أميمة بنت عبد المطلب.

٢- أسامة بن زيد، تزوج بفاطمة بنت قيس القرشية، من بني فهر.

٣- سالم مولى أبي حذيفة تزوج بهند ابنة الوليد بن عتبة بن ربيعة، وقد كانت يومها من أفضل أيامى قريش، إذ هي ابنة أخ أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

٤- المقداد بن الأسود [١]، تزوج بضُبَاعَة بنت الزبير، وهي هاشمية [٢].

كما أن من أروع نماذج صدر الإسلام، أن الرسول ﷺ خطب امرأة من الأنصار – ذات شرف ومكانة – لذلك الضعيف – جليبيب. ذلك الصحابي الذي اشتهر بقصته عندما افتقده الرسول ﷺ بعد إحدى الغزوات، ثم وجدوه قد قتل بعدما قتل سبعة من المشركين وجدوهم مصرعين حوله، فقال النبي ﷺ: " هذا منى وأنا منه ".

(١) هو ابن عمرو الكندي، تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري.

(٢) صحيح البخاري، رقم (٥٠٨٩)، باب: الأكفاء في الدين. وصحيح مسلم، رقم (١٢٠٧).

ومـن النمـاذج التـي يحكيهـا تـاريخ المسـلمين بكـل فخـر واعتـزاز قصـة المبارك: فمن هو المبارك ؟

كان عبدا لرجل من التجار من هَمَّذان من بني حنظلة، وكان تقياً صالحاً شديد الورع، أقام زماناً في بستان يعمل فيه لمولاه، وقد طلب منه مولاه في ذات يوم أن يحضر له من البستان رماناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر رماناً فلما كسره مولاه وجده حامضاً، فحرد عليه، وقال له: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض! هات حلواً، فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره مولاه وجده أيضاً حامضاً، فاشتد حرده عليه، و فعل ذلك مرة ثالثة، فذاقه مولاه فوجده أيضاً حامضاً، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال: لا ، فقال : وكيف ذلك؟ فقال: لأني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه، فقال له : لم لم تأكل ؟ قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه، فعجب من ذلك مولاه صاحب البستان، وبعد تيقنه من ذلك عظُم في عينه ، وزاد قدره عنده ، وكانت له بنت خُطبت كثيراً ، فقال له : يا مبارك من ترى تُزَّوج هذه البنت ؟ فقال: أهل الجاهلية يزوجون للحب، واليهود للمال، وهذه الأمة للدين، فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به أمها وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجًا غير مبارك فتزوجها، ورزقها الله عبدالله بن المبارك الذي أنبته الله نباته حسناً فأصبح ملء السمع والبصر (١).

وهكذا يجب أن نكون كما كان سلفنا الذي امتثل الإسلام قولاً وفعلاً، معتزين به، كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه:

" نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله "(٢).

---

(١) انظر: محمد عثمان جمال / عبدالله بن المبارك، الإمام القدوة/ ص ٤٣ – ٤٥.

(٢) المناوي / فيض القدير شرح الجامع الصغير/ ٢/٢٩٠/ دار المعرفة/ بيروت / ط ثانية /١٣٩١هـ.

المطلب الثالث

ما بين الوطنية والعصبية

وهنا لابد من التفريق بين العصبية التي ذمها الإسلام، وبين حب الوطن، والاهتمام بأموره، وحمل آماله، والشعور بآلامه، وهذا ما يُسمى بالوطنية، وهي أمرٌ مرغّبٌ فيه.

لكن لابد من بيان أن وطنية الإسلام- لا القوميات العرقية- هي أوسع الوطنية حدوداً، وأعمقها وجوداً، وأسماها خلوداً، وهنا يبرز هذا السؤال؟

ما هو وطن المسلم؟

والجواب: أن وطن المسلم من يوجد فيه من يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فهذه العقيدة هي من تحدد هذه الوطنية.

وقد قرر هذا المعنى بوضوح الدكتور سعد دعبيس، من علماء دولة قطر، حيث قال في نظم له في مجلة " منار الإسلام " وفيه:

موطني حيث المــآذن نسري

بنـــداء التوحيد والإيمـــان

كلكم إخوةٌ فلا جنسَ يعلو

فوق جنسٍ بالزيف والبهتان

رايــة الله وحــدّتنــا جميـعــاً

إن تكونوا موزعي الأوطـان

عـــربي وعـــجمي ســـواءٌ

أبيض اللون- أسودٌ سيــان

وطن الحر ليس أرضاً وماءً

أو بيوتــاً رفيـعــة البنيــان

حيث تنمو مبادئ حيث تعلو رايــة الله – هذه أوطــاني[١]

إذن لابد من أن يكون الانتماء إلى الدين مقدماً على كل انتماء، بل في أعلى سُلَّم الأولويات.

ولا يعني ذلك ترك الانتماء للعائلة أو العشيرة أو الإقليم، بل المذموم هو أن تفرض المواطنة على المجتمع أن يتخلى عن الدين، وتكون الموالاة للعرق والطائفة.

وحتى لا يلتبس الأمر فإن الباحث يبيّن أن حب الوطن ليس بالأمر المذموم ما دام ليس معه عصبية، بل إنه غريزة في الإنسان، وقدوتنا في ذلك رسولنا الكريم ﷺ الذي خاطب وطنه – مكة المكرمة – عند هجرته المباركة إلى المدينة قائلاً: " والله إنكِ لخيرُ أرض الله، وأحب الأرض إلى الله، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجت" [٢].

(١) مجلة منار الإسلام/ مايو ١٩٩٢م.

(٢) مسند الإمام أحمد / ٣١/ ١٤/ ط الرسالة.

المطلب الرابع
ما بين القومية والعصبية

ونقصد بالقومية ذلك النظام الذي يدعو إلى الولاء والتجمع لأمر معين، يعيش من أجله بدلاً عن الدين.

وفي عصرنا الحاضر علت الصيحات المنادية بالقومية في عالمنا الإسلامي، مقتدية بدعوات القومية الأوربية، والتي امتد نفوذها في القرن التاسع عشر، فشمل حتى الشعوب الصغيرة، فمثلاً في ألمانيا كان التعصب للجنس الآرى، والفرنسيون والإنجليز والدنماركيون والبلجيكيون، كل منهم يتعصب لقوميته، وقد رافق ذلك كثيرٌ من الاضطرابات والتمزق [1].

والملفت للنظر أن أوروبا قد حاربت هذه الدعوات للقومية واعتبرتها رجعية وتخلف، ولكن بعد أن صدرتها لعالمنا الإسلامي الذي نشأت فيه أشهر قوميتان كانت لكل واحدة سهم في تمزيق شمل الأمة المسلمة، وهما:

١- القومية العربية

٢- القومية الطورانية

ويجدر بنا أن نسلط الضوء العلم على العروبة بمنظار العقيدة الإسلامية ونركز في هذا الجانب على أن أفضلية العرب يحب أن لا تكون سبباً لافتخارهم وتعاليهم على غيرهم من إخوانهم المسلمين، فالعروبة ليست خصماً على الإسلام، لذا يجب ألا يأخذ أهلها العجب والغرور، وإلا فإنها ستنقلب إلى عصبية منتنة، وجاهلية حمقاء[2].

ومسلمو اليوم يعانون كثيراً من القوميات القائمة على العصبية، وإحلالها محل الرابطة الإسلامية، ومن تلكم القوميات القومية العربية التي

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأوربي الحديث / ص ٢٩١.

(٢) راجع كتاب: القومية في ميزان الإسلام / عبد الله ناصح علوان/ ص ٠٧٨

كان وراءها الأعداء، وغرضهم تمزيق وحدة المسلمين.

وعن هذا المنشأ الخبيث، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز -عليه رحمة الله-: " أحدثها - القومية العربية - النصارى، لمحاربة الإسلام، والقضاء عليه بزخرف من القول، وأنواع من الخيال، وأساليب من الخداع، فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام ومن قلّدهم من الجهّال، ومعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم، و منكر ظاهر، وجاهلية نكراء ، وكيدٌ سافر للإسلام وأهله ، ذلك من وجوه:

الأول: أن الدعوة إلى القومية العربية تفرِّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وكل فكرة تقسم المسلمين أحزاباً فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام.

الثاني: أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية، وحذّر منها، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية[(١)].

وتأكيداً لما ذكرناه آنفاً القومية عن دور أعداء الإسلام في إنشاء هذه القومية نورد ما تفضل به الدكتور صالح العبود من معلومات ضمن رسالته للماجستير عن " فكرة القومية العربية في ضوء الإسلام " فعند عرضه لحقيقة فكرتها ذكر مشاهير زعمائها، ومن ضمنهم ساطع الحصري [(٢)]، والذي من ضمن أقواله:

" أنا لا أخالف من يدعو إلى الاشتراكية، حتى أنني لا أعارض من

---

(١) انظر: عبد العزيز بن باز / نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع / ص ١٣ إلى ٠٢١

(٢) أقدم دعاة القومية، وفيلسوفها، والمرجع الأساس للقوميين، تربى في تركيا على الأفكار الوضعية الفرنسية، والقومية الأوربية.

يقول بالشيوعية، غير أنني أطلب إلى هؤلاء ألا يمزجوا دعوتهم هذه بالفكرة الأممية، وألا يجعلوا حركتهم معادية للنزعة الوطنية [١]".

كما أنه يرى أن الرابطة القومية أقوى وأعم من الرابطة الإسلامية مدعياً أن التاريخ يشهد بذلك، مستشهداً بقول زعيم عربي مسلم " لم يسمه ": "نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد[٢]".

وأيضاً مما يعضّد ما ذهبنا إليه، إشادته بشاعر نصراني دعا إلى الكفر في سبيل الوحدة العربية، حيث قال:

سلامٌ على كفر يوحـــد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم [٣]

---

(١) نقلا عن: ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية / ص ١٥٣.

(٢) انظر: ساطع الحصري/ اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية/ ص ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق/ ص ٣٥.

المبحث الثاني
آثار العصبية في الصد عن الإيمان في صدر الإسلام
ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر العصبية في صدّ زعماء قريش عن الإيمان

المطلب الثاني: صد العصبية ليهود المدينة عن دخول الإسلام

المطلب الثالث: أثر العصبية في منع إسلام قيصر الروم

المطلب الرابع: أثر العصبية في مناصرة أدعياء النبوة

المطلب الأول

أثر العصبية في صد زعماء قريش عن الإيمان

إنّ الباحث في تاريخ الأمم يجد بالاستقراء أن العصبية من أعظم أسباب منع هداية البشر إلى صراط الله المستقيم، ويجدر بنا في هذا المطلب أن نركِّز على دورها في صدّ قريش عن الإسلام رغم أن المتتبع لمواقف قريش – خاصة الزعماء منهم – من العقيدة الإسلامية يستقرئ قناعتهم بصدق الرسول ﷺ، فقد روت كتب السيرة أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمر بن وهب الثقفي حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يسمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا [١].

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية /ص ١٤٥/ دار ابن حزم / ط أولى/١٤٢٢-٢٠٠١ بيروت.

ومما يدل على تجذر العصبية في قريش، ما ذكره عنهم القرآن: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ (١). وقد ورد في تفسير هذه الآية:

((وكان الأولى لهم أن يقولوا: اللهم إن كان هو الحق من عندك فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه. ولكنهم استعجلوا العقوبة والعذاب لسفههم))(٢).أهـ

وتعضيداً لما قررناه من دور سلبي للعصبية نذكر أن كثيراً من عرب الجاهلية الذين جحدوا دعوة الإسلام، رقم تيقنهم بصدق الصادق المصدوق ﷺ، ما حملهم على هذا الجحود، الا العصبية العمياء، وكنموذج لهذه العصبية نورد الحوار الذي دار بين هرقل عظيم الروم، وبين أبي سفيان – قبل إسلامه – مما يعطي صورة حقيقية لكفار قريش، فقد سأله هرقل عن دعوة الرسول ﷺ، فكان إجابته تنم عن التصديق بها، فلماذا لم يؤمن؟

وقد علّق هرقل على الحوار بقوله:

ذكرت أنه – الرسول ﷺ– فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وذكرت أنه لم يقل أحدٌ منكم هذا القول قبله، قلت: فلو كان كذلك لقلت: رجل يأتم بقولٍ قيل قبله، وذكرت أنه لم يكن من آبائه من ملك، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وذكرت أنكم لم تكونوا تتهمونه بالكذب، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

وذكرت أن ضعفاء الناس اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان، حتى يتم،... فإن كان ما تقول حقاً فسيملك

(١) الأنفال ٣٢.

(٢) انظر: تفسير أبو السعود /١٣٧/٢.

موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

والشاهد في نهاية هذا الحوار ما ذكره أبو سفيان لأصحابه بعدما خرج من هرقل:

((لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه بني الأصفر)) (١).

ومن عجب العجاب نذكر إجابة أبو جهل – فرعون هذه الأمة– بسؤال الأخنس بن شريق يوم بدر: ((يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إنّ محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء، والحجابة، والسقاية، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش!!)) (٢).

إذاً هذا إقرار من أبي جهل بصدق رسول الله ﷺ بالقلب واللسان، ولكن العصبية حالت دون اتباع ذلك النور.

ولا يغيب هنا دور العصبية في منع أبي طالب الذي لمم يزل يدافع عن النبي ﷺ، ويصرح بأن ما جاء به هو الحق ومن ذلك ما ظلّ ينشره من شعر في مدح الإسلام، ومنه:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبةٍ ... لوجدتني سمحاً بذلك مبيناً (٣)

فما الذي منع قائل ذلك من الإيمان، هو داء العصبية التي توهم صاحبها بالمسبة والملامة إذا تبرأ منها.

(١) انظر: روضة الأنوار في سيرة النبي المختار/صفى الدين المباركفوري/ص٢٥٥-٢٥٦/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ السعودية/ ط أولى / ١٤٢٤هـ.

(٢) هداية الحيارى/ص٤٨

(٣) انظر: ابن كثير/ السيرة النبوية/٤٩/٢ وكذلك١/٤٩١

المطلب الثاني

صدّ العصبية ليهود المدينة عن دخول الإسلام

لقد عايش أهل يثرب، اليهود الذين كانوا يترقبون مجيء بنى آخر الزمان، وكانوا يستنصرون بمجيئه على أعدائهم، ويقولون: إنه سيبعث نبى في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما جاء نبى آخر الزمان محمد ﷺ، ولم يكن من بني إسرائيل، كفروا بالحق الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، وفسد اعتقادهم فيه، مع أنهم يعلمون أنه رسول الله حقاً، كما سجّل القرآن ذلك بقوله: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١) .

وقال محمد بن إسحاق عن عاصم عن عمرو عن قتادة عن أشياخٍ منهم: ((فينا والله وفيهم – يعنى في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة – يعني في الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

وعندما بعث الله رسوله من غير اليهود، واتّبعناه، كفروا به)).

وأيضاً يذكر ابن إسحاق عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلمّا بعثه الله من العرب، كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم

---

(١) البقرة،١٤٦.

(٢) البقرة، ٨٩.

تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضر: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله هذه الآية.

ومما يؤكد أن اليهود رفضوا ما يؤمنون بصحته، وعادوا من يعتقدون فضله بسبب عصبية الجنس، نذكر قول أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب –رضي الله عنها–: ((لما قدم رسول الله ﷺ قبا ... غدا إليه أبي وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فو الله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس... فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبي: أهو أهو؟ قال: نعم والله، لا قال تعرفه بعينه وصفته؟ قال: نعم والله قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)) [1].

(١) ابن كثير/البداية والنهاية/ ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة /فصل في اسلام عبد الله بن سلام.

المطلب الثالث

أثر العصبية في منع إسلام قيصر الروم

عند حديثنا عن دور العصبية في صد زعماء قريش سردنا الحوار الذي دار بين قيصر الروم وأبي سفيان، وقد أحطنا بتيقن هرقل قيصر الروم بصدق مصطفانا الصادق المصدوق ﷺ، ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال: هل أسلم قيصر هذا؟ الجواب: لا، فلماذا؟ فلنتابع ما حدث له مع قومه، فقد أذن قيصر لعظماء الروم في دسكرة له، وأمر بأبوابها فأغلقت، ثم قال: يا معشر الروم: هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم؟ فتتابعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحوش إلى الأبواب، فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نظرتهم قال: ردوهم عليّ، فقال لهم: إني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت: فسجدوا له، ورضوا.

والشاهد أن قيصر قد عرف النبي ﷺ، وصدق نبوته، ولكن غلب عليه حب ملكه فمنعته هذه العصبية من الهداية، فباء بإثمه وإثم رعيته، ولم ينفعه تحذير الرسول الكريم ﷺ عندما دعاه للإسلام: ((. . . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين))(١).

(١) انظر: صفى الدين المباركفوري/روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ص٢٥٧(مصدر سابق).

المطلب الرابع
أثر العصبية في مناصرة أدعياء النبوة

ونقف في هذا المطلب عند موقف أتباع مسيلمة بن حبيب الكذاب[(١)]، الذي ادعى النبوة، وأتى بكلامٍ لم يصدقه حتى أتباعه من بني حنيفة، ومع ذلك والوه ونصروه وحاربوا معه المسلمين، فيروى أنه خلال حروب الردة التفت أحد أتباع مسيلمة قائلا: أشهد أنك كذّاب وأن محمداً صادق، ولكن كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر[(٢)].

وبسبب هذه العصبية العرقية، اتبع الكثيرون من بني حنيفة في نجد مسيلمة عندما قال لهم: إن نجداً أولى بالنبوة من الحجاز، وزاد في ادعائه بأن أرسل إلى رسول الله ﷺ من يقول له: ((أنت نبي الحجاز، وأنا نبي نجد، والأرض بيننا سواء))

وكذلك للعصبية دور في ادعاء الأسود العنسي للنبوة، فقد كان من سكان اليمن، وكان يدعي الكهانة، ويظهر التبنوء بالغيب، وأن يكون هو الآخر بنياً لليمن زاعماً أن نجداً والحجاز ليستا بأعلى قدر من اليمن التي

(١) وفد مسيلمة مع قومه بني حنيفة على الرسول ﷺ، وقد سمعه يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فقال له ﷺ: ((لو سألتني هذا العود – لعرجون في يده– ما أعطيتكه، ولئن أدبرت ليعقرنك الله)) انظر: ابن كثير/البداية والنهاية/٣٢٣/٦.

(٢) ذكره الطري في تاريخه، في ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة، في أحداث سنة إحدى عشرة من الهجرة من الجزء الثالث. وانظر كتاب: التعايش مع الآخر مفهومه أهميته معوقاته للدكتور جمال الحسيني أبو فرحة/ص ١٢٠/ط٢/٢٠١٥/ مكتبة دار الزمان/المدينة المنورة

منها ملوك تُبَّع[١] وحِمْيَر وأزواء قحطان، فأثار بذلك الحمِّية في نفوس الكثيرين من أهل اليمن، فجعلهم يعتقدون أن اليمن أولى بالرسالة، وأنهم سيعيدون مجد التتابعة على يده.

وقد انتهى أمر الأسود العنسي بأن قتله المسلمون وهو في مضجعه، كما تنبأ بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال للصحابة:((قتل الأسود، قتله رجلٌ مبارك من أهل بيت المسلمين هو فيروز الديلمي))[٢].

---

(١) نسبة إلى تُبّع الحِمْيَري، وقد كان ملكاً على اليمن-انظر إلى تفسير الآية ١٤ من سورة ق.

(٢) انظر: أحمد السعدني/رجال ومواقف من التاريخ/ص ٨١-٨٤/دار الوفاء/ط أولى/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

المبحث الثالث
نماذج لآثار العصبية في العصر الحاضر
ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: نموذج أمة الإسلام في أميريكا

المطلب الثاني:نموذج الدولة العثمانية

المطلب الثالث: نموذج القومية العربية

المطلب الرابع:نموذج المستشرق

المطلب الأول

نماذج لبعض المستشرقين

أمة الإسلام أو البلاليين، في أميريكا تُعدّ من كبرى الحركات المنسوبة للإسلام هناك، ومن أكثرها بروزاً.

مؤسسها:

رجل عنصري، يُدعى: والاس فارد محمد Wallace Fard Muhammad المولود في سنة ١٨٧٧ ميلادية، والمختفي سنة ١٩٣٤ ميلادية.

وزعيمها المعاصر:

رجلٌ يُدعى: وارث الدين محمد (١).

وهذه الفرقة تمثل أنموذجا، إذ يعتقد أتباعها أن الإنسان الأسود إله، وهو الإنسان الأصلي، الذي لم يتغير لونه، لأن لونه هو نفس لون الطين الذي خُلق منه، بل إن الإنسان الأسود هو الذي خلق الإنسان الأبيض (٢).

وتنظر هذه الفرقة إلى الجنس الأبيض باعتباره من أجناس الشياطين الذين قد أتت نهاية عصر سيادتهم.

وهذه العصبية للجنس الأسود عند فرقة أمة الإسلام جعلتها تقصر دعوتها على السود فقط.

أما البيض فممنوع منعاً باتاً أن يدخلوا في دعوتهم هذه.

كما تحرِّم فرقة أمة الإسلام اختلاط الدم الأسود بالدم الأبيض، أي لا تزاوج بينهم.

---

(١) انظر: د. مانع بن حماد الجهني وآخرون/ الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق والمذاهب/ ١ / ٣٦٣.

(٢) انظر: د. جمال الحسيني أبو فرحة/ أمة الإسلام/ ص ٣٩، وصفحة ٦١.

وتوجب فرقة أمة الإسلام على أتباعها أن يبتعدوا عن البيض بكافة السبل.

ولهذه الفرقة دعوات انفصالية، إذ تنادي بانفصال أقاليم السود عن أمريكا كما تطالب بفتح مدارس مستقلة للسود، واقتصاد مستقل بهم [1].

المطلب الثاني

نموذج الدولة العثمانية

دولة الخلافة العثمانية التي ضمت معظم الدول الإسلامية لعدة قرون، والتي رفضت بيع فلسطين لليهود، سقطت بسبب العصبية بعدما وقعت وحشة هائلة بين الترك والعرب انتهت بارتداد الحكم التركي عن الإسلام.

فقد أشاعت الماسونية أن السلطان عبدالحميد قد اتفق مع العرب على مؤامرة للكيد للشعب التركي، مما أيقظ فكرة القومية التركية الطورانية، والغلو في تمجيدها، فتكونت " جمعية الاتحاد التركي " التي ثارت على السلطان عبدالحميد وأنهت الخلافة.

وكردة فعل لهذه القومية التركية قامت القومية العربية معتبرةً أن السلطان عبدالحميد مستعمر تركي على الأمة العربية[2].

وعندما جاءت الحرب العالمية الأولى عام ١٨١٤م، توزعت قوة المسلمين بين القوتين المتحاربتين، فأعلن السلطان عبدالحميد الجهاد ضد بريطانيا وحلفائها، ولكن تحت راية ألمانيا، فأصبح الأتراك حلفاء لدولة نصرانية يقاتلون معها ليس لنصرة الإسلام، بل لنصرة العصبية.

---

(١) انظر: محمود شاكر/ المسلمون تحت سيطرة الرأسمالية/ ص: ١٦٠- ١٦١.

(٢) انظر: عبدالله ناصح علوان/ القومية في ميزان الإسلام/ ص ١٥- ١٦/ دار السلام للطباعة والنشر/ ط ثانية/ ١٩٨٤م.

وفي المقابل انضمت الثورة العربية الكبرى في ذلك الوقت لبريطانيا بعدما رفضت نداء السلطان للجهاد، فأعانت بريطانيا وحلفاءها بأن رابط أفرادها على الطريق الذي تقهقر منه الجيش العثماني، وإنزال الخسائر الفادحة بالدولة العثمانية (١).

إذن إحلال العصبية مكان الوحدة الإسلامية هو السبب الرئيس في ضياع مجد المسلمين، وما حدث لهم من نكبات، وجروح دامية في معظم بلدان المسلمين.

ولمزيد من وضوح الرؤية يرى الباحث ضرورة أن يورد مذكرتين شهيرتين في ذلك الوقت بين زعماء بريطانيا وزعماء الثورة العربية ضد الدولة العثمانية.

فكانت المذكرة الأولى في ٢ رمضان ١٣٢٣هـ الموافق ١٤/ ٧/ ١٩١٥م من زعيم الثورة العربية يطلب من بريطانيا المصادقة على الاقتراحات التي من بينها:

١- أن تعترف بريطانيا باستقلال الدول العربية - بعد القضاء على الدولة العثمانية -

٢- أن توافق بريطانيا على إعلان خليفة عربي على المسلمين.

٣- يضمن الخليفة الاعتراف بأفضلية بريطانيا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية.

٤- أن تتعاون الحكومتان - البريطانية والعربية المزمع تكوينها- في

---

(١) وقد كانت هذه الثورة مخترقة من الإنجليز، عبر جواسيسهم، ومنهم الضابط الإنجليزي -توماس لورنس- الذي كان يلقب بلورنس العرب لأنه كان يتولى قيادة الثوار العرب المخصصين لتدمير أجزاء من سكة حديد الحجاز إبان الحرب العالمية الأولى.

مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين براً وبحراً وجواً [١].

أما المذكرة الثانية فكانت من مندوب بريطانيا إلى زعيم الثورة العربية كردٍ للأولى يطمئنه فيها بالاستجابة لتلك المطالب، وفيها:" إن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة[٢]".

وقد تفانى العرب في الإخلاص للإنجليز، بل وإن بسالتهم في الحرب معهم ضد الأتراك ساعدت في النتائج الفاصلة في الحرب، حسب تقرير الجنرال اللنبي الذي رفعه إلى وزارة الحربية البريطانية بتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٩١٨م [٣].

والسؤال المنطقي بأي شيء كافأ الإنجليز العرب على ذلكم الإخلاص؟ وما هو ثمن البراء من الترك المسلمين، والولاء للإنجليز الكافرين؟

يمكن الإشارة إلى بعض محصلة ما حدث كما يلي:

١- وقّعت بريطانيا مع فرنسا في عام ١٩١٦م اتفاقية " سايكس بيكو" لاستعمار بلاد العرب قسمة بينهما.

٢- أصدرت بريطانيا وعد " بلفور" عام ١٩١٧م بإعطاء فلسطين لليهود.

٣- اقتحم الجنرال البريطاني " اللنبي " مدينة القدس من باب الخليل، وقال عبارته المشهورة: " الآن انتهت الحروب الصليبية [٤]".

(١) انظر: صالح بن عبدالله العبود/ فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام/ ص ١٢٧ – ١٢٨/ نشر دار طيبة الرياض / السعودية/ ط أولى / بدون تاريخ.

(٢) انظر: جورج أنطونيوس/ يقظة العرب/ ص ٥٤٨.

(٣) انظر: عبدالله التل/ خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية/ ص ٢٣٧– ٢٣٨.

(٤) انظر: عبدالله التل/ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية/ ص ٣١.

المطلب الثالث: نموذج القومية العربية

القومية في اللغة: نسبة إلى القوم ، وقوم الرجل وعشيرته[١] .

ومفهومها الاصطلاحي: العصبية القبلية

ومقصود القومية العربية: الاعتزاز بالعرق، أو الجنس العربي مع التعصب واحتقار الآخرين، وجعل ذلك محور الارتباط، بدلا من الارتباط بالدين، والولاء له .

وفكرة القومية قديمة، فقد استوردتها أوربا من تراث الرومان القدماء، وفي القرن التاسع عشر الميلادي صارت القومية مصطلحا يعبر عن تمجيد جماعة محدودة من الناس، يضمها إطار جغرافي، ويجمعها تراث مشترك، وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة.

وكمثال لذلك كانت القومية الألمانية القائمة على أساس الاعتزاز بالعرق الآري، وأن ألمانيا فوق الجميع، كما كانت الحركة القومية الإيطالية، والقومية اليونانية، وغيرها من القوميات الأوربية .

أما القومية العربية فقد قامت على وحدة اللغة ووحدة التاريخ وكان أول من حمل فكرتها نصارى العرب، وقد أرخ لذلك أحدهم وهو – جورج أنطونيس– بقوله:" بدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة ١٨٤٧ ميلادية، بإنشاء جمعية أدبية في بيروت، وفي ظل رعاية أمريكية [٢]".

وكان من أبرز الدعاة للقومية العربية نصراني يدعى ((ناصيف اليازجي)) كان يلهب مشاعر العرب على اختلاف عقيدتهم–نصارى ومسلمين– يهيب بهم أن يتذكروا تاريخهم المشترك، وأن يشيدوا على أساسه

(١) انظر: لسان العرب ١٢ /٥٠٥.

(٢) انظر: جورج أنطونيس/ يقظة العرب/ ص ٧١.

– دون الدين– مستقبلا يجمعهم [1] .

وكان الهدف الحقيقي هو التفرقة بين العرب والأتراك [2]، وذلك لتدمير الخلافة العثمانية .

ثم كان للاستعمار دور كبير في نشأة القومية العربية ممثلا في بريطانيا، وقد اشتهر بهذا الدور ((توماس ادوارد لورنس)) المشهور ب (لورنس العرب) وهو ضابط بريطاني قام بمساعدة القوات العربية ضد الدولة العثمانية، ومن أقواله:(لقد كنت مؤمنا بالحركة العربية إيمانا عميقا، وكنت متأكدا من قبل أن آتي إلى الحجاز أن هذه الفكرة ستحزن تركيا، وتقضي على إمبراطوريتها شذر مذر [3]) أ.هـ

وكذلك أصابع اليهود واضحة في تحويل ولاء المسلمين العرب من الدولة العثمانية إلى الولاء القومي العنصري، من جانب، ومن جانب آخر إثارة نعرة العصبية الطورانية ضد العرب، والهدف تجزئة المسلمين لجزئيات جنسياتهم ليسهل احتواؤهم والسيطرة عليهم[4]. مستغلين لكثير من السذج الذين خلبوا أنظارهم ببريق مبادئهم الزائفة .

ولما كان العرب والأتراك عماد الدولة الإسلامية العثمانية، فلما تبرأ بعضهم من بعض، فقد سقطت وتمزقت إلى دويلات فتسلط عليها الاستعمار الغربي واليهود .

إذن التنازع وذهاب الريح من الثمار المرة لعصبية القومية، مما يعني أن تركها ضرورة حياتية، أما عن الموقف الشرعي فمعلوم أنها ردة إلى

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٩

(٢) انظر: المجتمع العربي/ مجموعة من المؤلفين /ص ٢٠٨ نشر دار النهضة.

(٣) انظر: محمد الحسن/ المذاهب والأفكار المعاصرة /ص ٢٢١.

(٤) انظر: زين نور الدين زين/ القومية العربية في ضوء الإسلام ص ١٠٤.

الجاهلية، لأن المقصود بالعربية كل من تكلم باللسان العربي، وعلى ذلك فكل العرقيات غير العربية التي دخلت الإسلام وتحدثت باللسان العربي فهي عربية .

وشرف النسب إن لم يكن صاحبه متقيا لله عزوجل لا يغني عنه شيئا، وكمثال لذلك، أبو لهب لم ينفعه نسبه، ولا قرابته من رسول الإسلام ﷺ، بل نزلت فيه سورة تتلى إلى يوم القيامة .

وكذلك أبو طالب لم ينفعه نسبه ولا نصرته ودفاعه عن الرسول ﷺ، وقد ورد في الحديث: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه[١]).

ومن مسلّمات الإسلام عدم تفريقه بين جنس وجنس، ولا لون، إنما مقياسه: ﴿ إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[٢] وقد كان معظم حماة الإسلام من غير العرب ، منهم من نبغ في القراءات القرآنية ، وفي الفقه الإسلامي ، وفي اللغة العربية ، وفي التاريخ ، وفي مقارنة الأديان ، وفي علم الحديث وفي السيرة النبوية ، ونحو ذلك[٣]. بل تدين الحضارة الإسلامية للعصر السلجوقي، وللتيمورين في أواسط آسيا، وللدور الكبير الذي لعبه الأتراك العثمانيون في ازدهار الحضارة الإسلامية التي يذكرها التاريخ بكل فخر، مما يؤكد عالمية رسالة الإسلام، وتساميها فوق كل الأجناس.

إذن نتساءل لماذا هذه العصبية التي تريد تضييق ما جعله الله واسعا؟

وما ضرّ أمة الإسلام أن يتصدر فيها غير العرب ويسودوا؟ مادام هذا هو أمر الله ودينه، فمن حفظه ساد، ومن ضيعه سقط، مهما كان الجنس او اللون.

---

(١)مسلم برقم ٢٦٩٩.

(٢) الحجرات ١٣.

(٣) لمعرفة الكثير من مشاهير قادة الفكر الإسلامي يمكن الرجوع لكتاب: ((القومية في ميزان الإسلام)) لعبدالله ناصح علوان _ ص ٧٠_٧٢.

المطلب الرابع:
نموذج المستشرق

وتخص في هذا المطلب المستشرقين الذين يؤثرون على العلم بعصبتهم ضد الإسلام، فهم علماء الغرب الذين تخصصوا في الدراسات والأبحاث عن الشرق -أي البلاد الإسلامية- من حيث الديانات واللغات والآداب والحضارات ونحو ذلك، ولكن العصبية حملتهم أن تصاحب دراساتهم أغراض تتنافى وطبيعة البحث المجرد عن الهوى، فجانبوا الحقيقة بعد ما عرفوها فلم يهتدوا للإسلام بل طعنوا فيه (١)، وكنماذج لذلك، نورد ما قاله مشاهيرهم:

النموذج الأول: لورانس براون:

فكان من التخطيط الاستراتيجي لهذا المستشرق قوله: "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير (٢)".

---

(١) لقد ملئت كتابات المستشرقين بالتعصب الصليبي وقد كان الكثيرون منهم أداة الاستعمار، كما كان بعضهم جواسيس للغرب.

(٢) انظر: البهي/ د.محمد/ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي/ص ٥١٥.

النموذج الثاني:

بروكلمان:

لقد ألّف هذا المستشرق كتابه المسمى "تاريخ الشعوب الإسلامية"، وقد جمع فيه التعصب الصليبي والاستعلاء العنصري، مرددا أقوال من سبقه من الكهان الجاحدين لرسالة النبي محمد ﷺ، في بحث خال من التجرد والحياد، بل سمته العامة الاستهتار والتجني، إذا يضع نتيجته مسبقاً مدعياً أن رسول الله ﷺ اقتبس كل شيء عن الأمم الأخرى، منكرا أن يكون الله تعالى قد أنزل كتابا، وشرع أحكاماً، وبعث رسولا من العرب (١).

النموذج الثالث: سير توماس. و.آرنولد:

وهذا مستشرق نصراني انجليزي، اشترك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية (٢) في الفترة من ١٨٦٦م إلى ١٩٣٠م، ومن أشهر كتبه:" الدعوة إلى الإسلام": وقد أورد فيه كثيرا من الافتراءات على الإسلام.

النموذج الرابع: وليم غي فورد بلغراد:

وهذه مستشرق إنجليزي، سُمي بالحرباء لتحوله من قس بروتستانتي إلى راهب يسوعي، ثم عاد إلى البروتستانت، وقد لخص عصبيته ضد القرآن بقوله: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبل الحضارة، التي لم يبعده عنها إلا محمد

---

(١)انظر: زين العابدين، محمد سرور/ دراسات في السيرة النبوية/ ص ١٣٢/ دار الأرقم/ ط ثانية/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) اشترك في تأليفها أكثر من ٤٠٠ مستشرق، وبلغت ٣٠٠٠ مادة، في أكثر من ١٠,٠٠٠٢٠٠ صفحة، اشتملت على أكثر من ٣٠٠ مطعن وانتقاص للعقيدة الإسلامية.

وكتابه [(١)])) أه.

هذه نماذج لعصبية المستشرقين، وقد رأينا انهم لا يبحثون عن حق ولا حقيقة، بل يكابرون، ويتعصبون لباطلهم، ويتشبثون بماهم عليه من الإفك والزور والوهم[(٢)].

وعلى هذه العصبية بنى الكثيرون من الأوربيين موقفهم عن الإسلام فكان سمته الكره العميق الجذور.

ويرى محمد أسد هؤلاء أن هؤلاء المستشرقين سقطوا فريسة للتحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام وأن طريقتهم في البحث العلمي أشبه بوقائع دواوين محاكم التفتيش التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، والتي كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، مجافى للحق والواقع، ناتج عن التعصب للرأي الذي يصاحبه دائما إلغاء الآخر، فالمستشرقون يختارون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يريدونه، وإذا تعذّر عليهم الاختيار العرفي للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها عن المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمية، نابعة عن سوء القصد.

ونتيجة هذه المحاكمة ليست سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية، نجدها في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة_ حقيقية أو خيالية_ ينالون بها من الإسلام عن طريقة النقد[(٣)].

---

(١) انظر: محمود محمد شاكر/ أباطيل وأسمار/ ص ١٦٩-١٩٤.

(٢) انظر: عمر عودة الخطيب/ لمحات في الثقافة الإسلامية/ ص١١٨ مؤسسة الرسالة/ ط٢/١٣٩٧هـ -١٩٧٧م.

(٣) انظر: محمد أسد/ الإسلام على مفترق الطرق/ ص ٥٢-٥٤.

المبحث الرابع: في علاج العصبية

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التجرد للحق

المطلب الثاني: التوعية بعواقب العصبية

المطلب الثالث: كشف مكائد الأعداء

المطلب الرابع: إحياء منهج السلف الصالح

المطلب الأول: التجرد للحق

لقد علمنا فيما سبق أن العصبية تتنافى والحق الذي لا يميل مع قربىٰ ولا يحيف مع شنآن، وإن من صور هذه العصبية الممقوتة إعمال قاعدة الولاء والبراء بصورة خاطئة تقوم على أساس الانتماء الضيق لمذهب أو عرقٍ أو بلدٍ، ونحو ذلك، فهذا يُمثِّل آفة من الآفات التي عمّت وطمت خاصة في عصرنا الحاضر.

وغنى عن القول أن هذا يتنافى مع غاية الإسلام من جمع القلوب، وتوحيد الكلمة، والإصلاح بين الناس، والخروج من المحيط الضيق إلى آفاق الدنيا.

وعلاج ذلك يكمن في سلامة الصدور، وطهارة القلوب، وصفاء النفوس من ابتغاء أي شيء لغير الله تعالى ، بمعنى التجرد من الهوى، وترك حظوظ النفس والتجرد من حب التصدر والزعامة والتبرؤ من الغرور ونحو ذلك.

والانسان من حيث هو إنسان مكرمٌ عند الله تعالى:﴿ ولقد كرمنا بني آدم﴾[1] وأولى الناس بتكريمه هم حملة العقيدة الاسلامية، فقد روى الامام البخاري عن جابر رضي الله عنه، أن جنازة مرت على النبي ﷺ، فقام لها واقفاً ، فقالوا : يا رسول الله ، إنها جنازة يهودي ! فقال: (أليست نفساً)

وسلفنا الصالح تركوا لنا نماذج مشرقة من أخذ الحكمة والنظرة المجردة للقول بغض النظر عن قائله، وكمثال لذلك نذكر ما قاله الحارث بن عبد الله الأعور الحوطي لعلي بن أبي طالب: أتظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل؟ فأجابه: يا حارث! إنه ملبوسٌ عليك، إنّ الحق لا يعرف

(١) الإسراء: ٧٠.

بالرجال، أعرف الحقد تعرف أهله [(١)]).

والعبرة هنا أخي القارئ الكريم أن نأخذ من كل قائل أصوب ما قاله، بغض النظر عند انتمائه. ونفس هذا المعنى أورده الإمام ابن قيّم الجوزية في كتابه القيّم (طريق الهجرتين):" ولا نتعصب لطائفة على طائفة، بل نوافق كل طائفة على ما معها الحق ، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق ولا نستثنى من ذلك طائفة ولا مقالة ، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ونلقى الله به " ا٠هـ.

وأيضاً ورد في رسالة عمر لأبي موسى في القضاء: " ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيه، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل" [(٢)].

وأيضاً من مقتطفات هذه الرسالة الشهيرة: من عمر لأبي موسى في القضاء: " ..فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، وأهواء متبعة، ودنيا مؤثرة ...، وإذا عرض عليك أمران: أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثر نصيبك من والآخرة على نصيبك من الدنيا فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى " أهـ.

ونفس هذا المعنى ذكره ابن تيميه عندما كتب : " وليس لأحد أن يأخذ على أحد عهدا بموافقته على كل ما يريده، وموﻻة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله، الذين يجعلون من وافقهم صديقا والي، ومن خالفهم عدوا باغي، بل عليهم وعلى

---

(١) ابن الجوزى / تلبيس ابليس / ص ٣٥٧.

(٢) ابن القيم / إعلام الموقعين / ١/٨٦ / ط السعادة / مصر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

أتباعهم عهد الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله"(١).

والدعوة للتجرد للحق أوضح ما تكون في حديث الرسول الكريم ﷺ: ((بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهو متّبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة، نفسك (٢).

وفي عصرنا الحديث رجع الكثيرون من المتعصبين للحقيقة عندما تجردوا من العصبية نذكر موريس بوكاي كنموذج لهم، حيث قال: " لقد قمت أولا بدراسة القرآن وذلك دون أي فكرٍ مسبق، وبموضوعية تامة، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القران لا يحتوي على آية مقولة قابلة للنقض من وجهة نظر العلم في العصر الحديث(٣)".

ولتقرير نفس المعنى يقول في موضع آخر: " كيف أمكن لمحمد أن يتناول قبل أربعة عشر قرناً حقائق علمية في القرآن، لم يكتشفها إلا التقدم العلمي في القرون الحديثة، لو لم يكن القرآن وحيا منزلا لا شك فيه ولا ارتياب في نصوصه"(٤).

وغني عن القول نقول أن التجرد للحق يظهر في عدل الله الذي يشمل جميع البشر، مؤمنهم وكافرهم، كما قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية/ ١٦/٢٨.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

(٣) موريس بوكاي/ دراسة الكتب المقدسة/ ١٢/ ١٣.

(٤) المصدر السابق/ ص٢٧٧.

قوم علىٰ ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ﴾[١].

وعلى ذلك فالمسلم لا يتحيّز لمن يحب، ولو كان أقرب الأقربين،كما أنه لا يحيف على من يكره، ولو كان أبعد الأبعدين، بل عليه أن يؤدي الحق لأهله، كائناً من كان.

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم:

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما يلقى الردىٰ بمذمةٍ وهوان
ثوبٌ من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلّ بالإنصاف أفخرِ حلة زُينت بها الأعطافُ والكتفان[٢]

(١) المائدة ٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية/ ص١٩

المطلب الثاني

التوعية بعواقب العصبية

فلمعالجة داء العصبية لابد من توعية الأفراد والمجتمعات بعواقبها الوخيمة، والتي منها:

أولاً: الضلال والضياع في الدنيا، والعذاب في الآخرة:

فكم من أفراد وجماعات قد ضلوا بسبب استنكافهم عن قبول الهدى من آخرين مع وضوح البينات، ولكن العصبية تفعل فعلها، ولعل البوصيري في بردته قد عنى هؤلاء بقوله:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ

وينكر الفـم طعم المـاء من سقـم

ثانياً: توسعة دائرة الخلاف بين المسلمين:

فمما هو معلوم أن الدين الحنيف، في ترتيبه الأولويات جعل أمر وحدة المسلمين بعد تأكيده لمسائل التوحيد، كما حذّر من الفرقة والاختلاف، بعد تحذيره من الشرك.

وفي بيانه لعاقبة التنازع ذكر القرآن أنه يؤدي إلى الفشل ومن ثَمّ ذهاب الريح، كما في الآية:﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين﴾(١)

ولعل هذا ينطبق على أمة الإسلام اليوم، والعلاج ترك العصبية والانتماءات الضيقة، والاعتزاز فقط بالانتماء للإسلام كما في المقولة المشهورة عن عمر الفاروق رضي الله عنه: ((نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلّنا الله))أهـ .

---

(١) الأنفال، ٤٦.

ثالثاً: تشويه صورة الإسلام، وفقد مقومات الحياة السعيدة:

فقد جنت العصبية على الإسلام، إذ شوهت صورته كدين توحيد ووحدة، فصار المسلمون بسببها فرقاً متناحرة سماتها الهوان والذيلية.

والعصبية قد سببت في إفراغ معظم قضايا الأمة الإسلامية من محتواها، كما هو مشاهد في قضية فلسطين، وفي غيرها كما أخلّت بقاعدة الولاء والبراء، إذ والى بعض المسلمين الأعداء.

بل إثارة نعرة العصبية العرقية بين العرب والترك، قد أوقعت بينهما وحشةً انتهت بارتداد الحكم التركي، بل محاربته للإسلام.

رابعاً: الإحباط النفسي:

فواقع المسلمين اليوم الذي يحكي عن تأخرٍ بسبب العصبية قد أورث الكثيرين منه إحباطاً نفسياً، وقنوطاً من تحسّنه، وهنا يأتي دور المصلحين بأن يفتحوا باب الأمل، والتحذير من تثبيط الهمة، أو اليأس من رحمة الله تعالى التي اقتضت إحياء الأرض بعد مواتها.

وليكن فقههم قول الصادق المصدوق ﷺ: ((ألا أنبئكم بالفقيه، كل الفقيه))؟ قالوا: بلى، قال: ((من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمِّنهم مكر الله))(١).

---

(١) ابن عبد البر/ جامع بيان العلم وفضله/٢/٤٤.

المطلب الثالث

مقاومة مكائد الأعداء

فعلى المسلمين ترك العصبية، فإضافةً إلى أن تركها فريضة شرعية، فقد أضحى ضرورة حياتية، لأن الأعداء استخدموها كسلاحٍ يفتكون به أمة الإسلام، قديماً وحديثاً.

وأعداء الإسلام قد يختلفون فيما بينهم في أمورٍ كثيرة، ولكن يتفقون على: ((تدمير الإسلام وإبادة أهله)) ولذلك يستغلون بعض السُذَّج والبسطاء ليعملوا على تحقيق هدفهم الخبيث.

ولتفويت الفرصة عليهم لابد من نشر الوعي بين المسلمين بأهمية اجتماع كلمتهم ووحدة صفهم.

وفي واقعنا المعيش مثالٌ حي يجدر بنا الوقوف عند عبره وعظاته، وهو جهاد المسلمين الأفغان ضد الغزو السوفيتي عام ١٩٧٩ ميلادية، فقد هبّ أهل أفغانستان يعاونهم المسلمون من معظم بلدان العالم الإسلامي لمقاومة هذه الشيوعية الغازية، بعزيمةٍ ووحدةٍ أحيت الأمل، فانهزم الإلحاد بتأييد الله تعالى.

وقد رأى الناس آيات الرحمن في انتصاراتهم، ومن أبرز مفاخر هذا الجهاد وقوف المسلمين على مختلف جنسياتهم وجماعاتهم ومذاهبهم معه، وامتزاج الدم العربي بالأفغاني محققاً عالمية دعوة الإسلام مما جعل الأعداء يستشيطون غضباً وذعراً.

ولكن دخلت العصبية على هذا الجهاد فأفزعته من محتواه، وكانت البداية للتدحرج نحو الهاوية بفرض الأميريكان التحالف مع بعض الفصائل، ثم مناصرة أي فصيل حسب العرق، فمثلاً هذا من الفرس، وذاك من البشتون، ودخل تجار المخدرات، وبعض الذين لا يفرقون بين الشيوعي

والمسلم[١]، ثم تطور الخلاف بين الفصائل فوصل إلى درجة الاحتراب، وقد عقد أحد قادة الفصائل هدنة مع الروس عام ١٩٨٣ ميلادية ليتفرغ للقضاء عسكرياً على أكبر حزب إسلامي شاركه الجهاد، وبعد ذلك تفرّد بالسيطرة على شمال أفغانستان، واتخذ قراراً بمنع دخول المجاهدين العرب إلى تلك المنطقة.

وماذا كانت نتيجة موالاة الأميريكان والتبرؤ من المسلمين العرب، والتباعد بين أعراق الفصائل الأفغانية؟

لقد كافأ الأميريكان من والاهم بأن احتلوا بلادهم وقضوا بذلك على ما أمّله الوجدان المسلم في كل مكان.

وأخيراً خرج الأميريكان ليتجدد الأمل بأن يعي المسلمون الدرس.

(١) انظر: محمد سرور بن نايف/قل: هو من عند أنفسكم/ص١٢٤/دار الأرقم/ ط أولى/١٩٩٣م.

المطلب الرابع

التزام منهج السلف الصالح

إنّ أجيالنا المعاصرة لا سبيل لعزتها بغير التمسك بهدي السلف الصالح، فقد كان هديهم بعيداً عن العصبية، وتكون البداية بتربية المؤمنين المتجردين لقضايا أمتهم، ممتثلين لقول ربهم سبحانه: ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم﴾(١).

ولتكن القدوة مجتمع الصحابة الذين قال عنهم الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:((...كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم، وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))(٢).

وقد كانت سمة مجتمعهم أنهم: ﴿أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين﴾(٣).

أما مجتمع المسلمين اليوم فقد أصبحت الصورة مقلوبةً عند كثير من المسلمين، يستأسدون على أهل الحق، ويخطبون ودّ أهل الباطل، وكنموذج لذلك رأينا بعض مثقفينا الذين انبهروا بحضارة الغرب، مبتوتة الصلة بالوحي، يدعون أجيال المسلمين أن يسيروا سيرة الأوربيين، وأن يسلكوا طريقهم، بل يكونوا شركاء لهم في حضارتهم، خيرها وشرها، حلوها، ومرها، وما يحب وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب.

---

(١) الإسراء، ٥٣.

(٢) مشكاة المصابيح/١/٣٢.

(٣) المائدة، ٥٤.

ومما يدعوا للاستغراب، ما ذكره صاحب كتاب: ((مؤامرة فصل الدين عن الدولة)) عن أحد دعاة الكماليين في تركيا يدعى: اغا أوغلي أحمد، إذ قال:

((إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الالتهابات التي في رئتهم، والنجاسات التي في أمعائهم))[١]أهـ.

والتساؤل البريء، أي عصبية هذه؟ وأي خير يرتجى منها؟ وقد عايشنا واقع حضارة الغرب الخالية من القيم، فرأيناها قد تسببت في الآتي:

أ- الاستخراب، المسمى زوراً بالاستعمار، والذي استحلّ دماء الشعوب المستضعفة، واستغل أراضيها، ونهب خيراتها.

ب- خلال جيل واحد-٣٣ سنة-فجرّت حربين عالمتين راح ضحيتها عشرات الملايين.

جـ- مسح مدينتين كاملتين من خريطة العالم، هما: هيروشيما ونيازاكي.

د- إبادة شعوب كاملة، مثل: الهنود الحمر، سكان أميريكا الأصليين.

هـ- المتاجرة بالرقيق بعد اختطافهم من أفريقيا.

و- محاولة إبادة شعب فيتنام.

ز- ما حاق بأهل البوسنة والهرسك.

هذا غير ما فعله زعماء الشيوعية وليدة الصهيونية من إبادة الملايين من البشر.

إذن ليست الحضارة الغربية قدوتنا، بل انتمائنا موحدين تحت راية الله التي لا تفرّق بين غربي وعجمي، ولا بين أسود ولا أبيض اللون، حتى نعيش الحياة التي نرضاها وتكون سبباً لمرضاة المولى سبحانه وتعالى.

---

(١) محمد كاظم حبيب/مؤامرة فصل الدين عن الدولة/ص٦٩.

الخاتمة

لقد عرض هذا البحث العصبية باعتبارها داءً يمزق جسم أمة الإسلام مشخصاً لأعراضها ومبيناً لخطورتها مع وصف الدواء الشافي المتمثل في نبذها واقتفاء أثر الرسول ﷺ الذي وصفها بأنها ((نتنة))، مع بيان حكم من يدعوا لها، والوقوف على بعض آثارها في العصر الحاضر من تمزيقٍ للشمل، وتعريض الأمة لتكون لقمة سائغة لأعدائها، وذلك من خلال أربعة مباحث، وقد خلص لبعض النتائج والتوصيات، كما يلي:

أولا: النتائج:

١- مخالفة العصبية لطبيعة الإسلام العالمية المستوعبة لكل الأعراق.

٢- تعارضها مع العقيدة الإسلامية التي تجعل الولاء لله وحده، والبراء ممن يعاديه.

٣- أنها أخطر أسلحة الأعداء الفتاكة لتدمير الإسلام وإبادة أهله.

٤- للعصبية الدور الأساس في منع الكثيرين من الإيمان.

٥- الوطنية والانتماء للعروبة ليس خصماً على الإسلام، فيجب ألا توجه الدعوة للقومية العربية للنيل من وحدة صف المسلمين.

٦- لقد تبيّن أن للعصبية نتائج سلبية، على البحث العلمي.

٧- أفول مجد المسلمين من الثمار المرة للعصبية.

ثانيا: التوصيات:

١- إشاعة المفهوم الصحيح للوطنية كدورٍ مجتمعي للمؤسسات التعليمية والإرشادية.

٢- النظر إلى آثار العصبية على المجتمع الإسلامي بمنظار العقيدة الإسلامية بتجرد الموحدين لله رب العالمين.

٣- كشف حقيقة عصبية المستشرقين الهادفة لتشويه صورة الإسلام.

٤- تجنيب الأمة شر التآكل والاختلاف بالتجرد من جميع أنواع العصبيات.

٥- تجريد الخطاب الدعوي من أي مظهر للعصبية، مع بيان الموقف الشرعي منها.

٦- إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، لتتعرف الأجيال على ثمار العصبية المرة.

٧- قيام المفكرين والكتّاب بالإرشاد إلى ما تحمله دعاوى القومية من فساد.

والله من وراء القصد، وهو خير مسؤول ليهب التوفيق، ويعصم من الزلل.

فهرس بأهم المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/دار المعرفة/بيروت/لبنان/١٩٨٢.
- ابن منظور/لسان العرب/دار صادر/بيروت/بدون تاريخ.
- ابن هشام/السيرة النبوية/دار ابن حزم/بيروت/ط أولى/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ابن القيم/إعلام الموقعين/ط السعادة/مصر/تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- البخاري، محمد بن إسماعيل/الجامع الصحيح/تحقيق: د.مصطفى ديب البغا/دار ابن كثير/اليمامة/ بيروت/ ط ثالثة/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الطبري/ جامع البيان في تأويل القرآن/دار الكتب العلمية/بيروت.
- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج/صحيح مسلم/تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي/دار الفكر/بيروت/١٤٠٣.
- البيهقي، أبو بكر بن الحسين/السنن الكبرى/دار صادر/بيروت.
- المناوي/فيض القدير شرح الجامع الصغير/دار المعرفة/بيروت/ ط ثانية/١٣٩١هـ.
- ابن القيم/الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.
- البهى، محمد/الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.
- الجريسي، خالد بن عبدالرحمن/العصبية القبلية من المنظور الإسلامي.
- الجهني، مانع بن حماد، وآخرون/الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق والمذاهب.
- أبو فرحة، جمال الحسيني/التعايش مع الآخر: مفهومه-أهميته-معوقاته.
- التل، عبدالله/خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية.

- لمحات في الثقافة الإسلامية/عمر عودة الخطيب/مؤسسة الرسالة/ط ثانية/١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام/عبدالعزيز عبدالله بن باز.
- نحو ثقافة إسلامية أصيلة /أ.د.عمر سليمان الأشقر/دار النفائس للنشر والتوزيع/ الأردن / ط١٢/ ٢٠٠٥م.
- رجال ومواقف من التاريخ/أحمد السعدني/دار الوفاء/ط أولى/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار/صفي الدين المبارك كفوري/وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/السعودية/ط أولى/١٤٢٤هـ.
- فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام/صالح بن عبدالله العبود/دار طيبة/الرياض/السعودية/ط أولى/بدون تاريخ.
- فكر ابن خلدون/العصبية والدولة/محمد عابد الجابري.

faharas bi'ahami almasadiri:

- alquran alkarim.
- abin kathir/tafsir alquran aleazimi/dar almaerifatu/biruti/libinan/1982.
- abin manzuri/lisan alearb/dar sadr/biruta/bdun tarikhi.
- abin hisham/alisiyrat alnabawiatu/dar abn hazma/birut/t 'uwlaa/1422h-2001m.
- abn alqimi/'iielam almuaqiein/t alsaeadatu/masra/tahqiqa: muhamad muhyi aldiyn eabdalhamid.
- albukhari, muhamad bin 'iismaeili/aljamie alsahihi/tahiqiqa: du.mistafaa dib albagha/dar abn kathir/alimamati/biruta/t thalithatun/1407h-1987m.
- altabri/jamie albayan fi tawil alquran/dar alkutub aleilmiatu/birut.
- 'abu alhusayni, muslim bin alhajaji/sahih musalimu/tahiqiqi: muhamad fuaad eabdalbaqi/dar alfikr/birut/1403.
- albihaqi, 'abu bakr bin alhusayn/alsunan alkubraa/dar sadri/birut.
- alminawi/fid alqadir sharh aljamie alsaghir/dar almaerifati/birutu/t thaniatan/1391h.
- abn alqim/alkafyat alshaafiat fi aliantisar lilfirqat alnaajiati.
- albuhaa, muhamidu/alfikr al'iislamiu alhadith wasalath bialiastiemar algharbii.
- aljirisi, khalid bin eabdalrahmin/aleasabiat alqabaliat min almanzur al'iislamii.
- aljihni, manie bin hamadi, wakhrun/almusueat almuyasarat fi al'adyan walfirq walmadhahibi.
- 'abu farhat, jamal alhusayni/altaeayush mae alakhar: mafhumah-'ahimiatihi-meuqatihi.
- altil, eabdalluha/khatar alyahudiat alealamiat ealaa al'iislam walmasihiati.

- lamahat fi althaqafat al'iislamiati/eumar eawdat alkhatib/muasasat alrisalati/t thaniatan/1397h-1977m.
- naqd alqawmiat alearabiat ealaa daw' al'iislami/eabdialeaziz eabdalllh bin bazi.
- nahw thaqafat 'iislamiat 'asilatu/'a.di.eumar sulayman al'ashquru/dar alnafayis lilnashr waltuwziei/al'urduna/ti12/2005m.
- rijal wamawaqif min altaarikhi/'ahmad alsaedini/dar alwafa'i/t 'uwlaa/1425h-2004m.
- rudat al'anwar fi sirat alnabii almukhtar/sfi aldiyn almubarak kufuri/wzarat alshuwuwn al'iislamiat wal'awqaf waldaewat wal'iirshad/alsaeudiat/ti 'uwlaa/1424h.
- fikrat alqawmiat alearabiat ealaa daw' al'iislami/salih bin eabdallah aleabudu/dar tibt/alriyad/alsseudiat/t 'uwlaa/bidun tarikhi.
- fakar abn khaldun/aleasabiat waldawlatu/muhamad eabid aljabri.